فنون

مئوية منصور الرحباني: أسافر وحدي ملكًا قرأ الماضي واستشفّ المستقبل وقضيّته الإنسان

مئة عام على ولادة الكبير منصور الرحباني، العملاق الذي وضع المدماك الاول للابداع اللبناني، بشعره وفلسفته، بفكره وشغفه، وانفتاحه على الثقافات العالمية ورموزها، وبتكامله مع عاصي الى حد التماهي، مما شكل نهجا فنيا لا يتكرر. عاصي، منصور وفيروز، هذا الثالوث الذي خيط لنا وطنا جميلا نحلم به ونتوق اليه اليوم

يوم سافر وحده ملكا تاركا الامانة في ايدي امينة، كان يدرك منصور الرحباني ان المسيرة التي بدأها مع شقيقه عاصي والكبيرة فيروز لم تتوقف لأنها تخطت الفن لا بل الفنون، وصارت متلازمة مع قضية وطن لا تزول الا بزواله.
هذا العام يحتفي لبنان بمرور 100 عام على ولادة الكبير منصور الرحباني (1925 - 2025). في هذه المناسبة تقام نشاطات عدة، تحدث عنها المؤلف الموسيقي اسامة الرحباني في حوار مع "الامن العام".

■ ما ابرز النشاطات لمئوية منصور الرحباني؟
□ بمجهود فردي، قررنا القيام بنشاطات ثقافية وفكرية وفنية للإضاءة في الاعلام حول العالم على شخصية المفكر العبقري العملاق الكبير وشقيقه عاصي. منذ عامين كانت مئوية عاصي، وهذا العام مئوية منصور حيث نعمل على تنظيم نشاطات فيها الكثير من المحاضرات واعادة طبع الكتب وتنشيط قنوات اليوتيوب للقطات كثيرة ولمسرحيات كالمتنبي في بعلبك او زنوبيا في بيبلوس، وعرض كل هذه المسرحيات هذا العام بعد انجاز المونتاج. هناك مسرحيات لم يتم عرضها كحكم الرعيان التي لم يتعرف عليها الناس وملوك الطوائف، صيف 840 الجديدة، اضافة الى زنوبيا، وعودة الفينيق. هناك عدد كبير من المدارس لم تتوقف عن اعادة مقاطع من سقراط او صيف 840. اما المشروع الكبير لهذا العام، فهو اوراتوريو ضخم جدا حول كتاب "اسافر وحدي ملكا"، قصيدة عن بيروت ضمن 34 جزءا كتبت في السبعينات والثمانينات، قررت تحويله الى "اوراتوريو" لسولو واوركسترا سيمفونية، وكورال كبير وناراتور، على ان يبصر العمل النور خلال هذه السنة، الى نشاطات اخرى. كل من يتناول اي عمل للاخوين الرحباني ويستخدم موسيقاهما ويتحدث عنهما، ويستمع لصوت فيروز واصوات كل من غنى معهما، يكون بذلك يضيئ من جديد عليهما وعلى منصور.

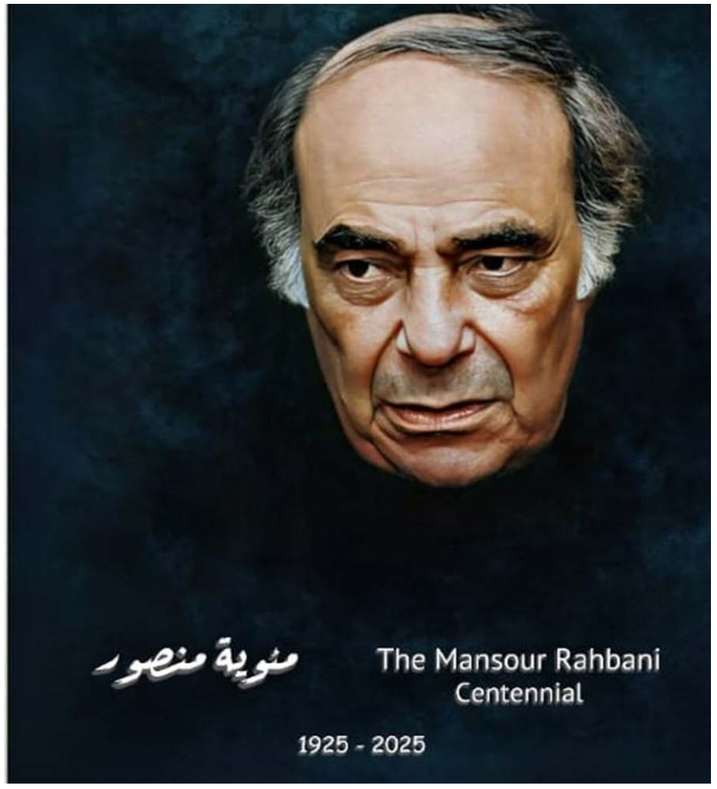

> **منصور كان قارئا للتاريخ والفلسفة ويعرف البعد اللبناني بحذافيره**

■ هل يمكن ان نشهد عملا مسرحيا جديدا او اي عمل فني في هذه المئوية؟
□ العمل الذي احضر له هو عمل ضخم من ناحية التأليف الموسيقي، كما ان الشعر رائع وهو اشبه بمن يفتش عن كنز. بقدر ما يقرأ المرء هذا الشعر بقدر ما يزداد اعجابه به، ونرى فيه هذه العبقرية والسلاسة وفي الوقت نفسه العمق الفلسفي واللاهوتي والشعري. فيه نوع من الانسيابية عند التلحين او الكتابة، فحتى لو كان نثرا نجد فيه ايقاعا رائعا، وهنا تكمن العبقرية.

■ هل من مسرحيات لمنصور الرحباني لم تبصر النور؟
□ هناك افكار عدة ومسرحيتان او ثلاثة للأخوين الرحباني الا انها ليست مكتملة. هناك فقط واحدة مكتملة من ناحية النص وليس الموسيقى وهي "زمان اليسا"، كذلك "مخفر 101" فيها مقاطع مكتوبة، وفصل من مسرحية "قصب من نهر سير". هناك افكار صغيرة مدونة، لكننا لا نفكر في التصرف بها، فعند عدم انجازهما للمسرحية كاملة لا يمكننا ان ننفذها نحن. كما ان للاستاذ منصور مسرحية "ملك للايجار"، إضافة الى نص آخر. ثمة نصوص اخرى synopsis، لكن لا نتصرف بها لأنه من الجميل ان نبقيها مخطوطة Manuscript.

■ هل حصل اي تواصل مع لجان المهرجانات الدولية في مئوية منصور حتى تكون هذه المئوية متوجة بعمل ضخم؟
□ الاحتفال الكبير سيكون الاوراتوريو، فيما لم يحدد بعد لا التاريخ ولا الزمان. سيحدد مع الوقت عند الاقتراب من مرحلة الانتهاء من التأليف الموسيقي ثم ننتقل الى مرحلة orchestration ومن ثم التمرين، بعدها يمكننا الحديث عن الوقت. انه عمل ضخم لأنه علينا تجنيد اوركسترا سيمفونية، مع كورال وكأنه مسرحية. اما بالنسبة الى المهرجانات، فنحن على تواصل دائم مع بعض المهرجانات خصوصا مع الصديقة نايلة دوفريج.

■ بين العائلة الرحبانية ومهرجانات بعلبك رابط تاريخي مكرس في الذاكرة الجماعية للبنانيين، هل ستعودون هذا الصيف في مئوية منصور؟ ◄

المقال

حدِّث ولا حرج

بين فن الامس واليوم لا وجه للمقارنة، اذ لم تعد الساحة الفنية كما كانت في الماضي، تزخر بعمالقة تعبوا واجتهدوا لكي يحققوا احلامهم. فنانون كبار نسيهم الناس وما عادوا في البال، حتى من الاعلام. يتذكرونهم ويتحدثون عن مسيرتهم عندما يمرضون او يرحلون عنا.
حاليا، صار النجم يولد بين ليلة وضحاها، فيما كان فنان الامس يخوض معركة حقيقية من اجل البقاء والاستمرار، وكان يناضل للوصول، اذ يكفيه اليوم الوقوف على المسرح وتقديم عمل قوي ليصفق له الجمهور.
يشوهون الموسيقى، يسيئون الى الاحرف الابجدية بشعرهم وكتاباتهم، ينشزون بعزفهم... فيما يتقاعس المعنيون في الدولة عن القيام بمهَامهم، لأن الاولويات في مكان آخر، في ظل الازمات المتتالية.
في ذلك الزمان كان الفنان يتعب ليشق طريقه، وكان عليه ان يثبت نفسه بنفسه من دون دعم اي شركة اعلانات، او"بروباغندا" من وسيلة اعلام مرئية. لم يكن هناك فضائيات ولا سوشيل ميديا، وحتى محليا كان هناك المسرح والاذاعة اللبنانية، وبعد سنوات طويلة تم تأسيس تلفزيون لبنان.
نعيش اليوم في زمن يسيطر عليه الاستسهال والاستخفاف بالفن ورسالته، لذلك نفتقد الفنون على انواعها، التي كانت تقدم للمشاهد المحتوى الممتاز والترفيهي معا. قصص كانت مأخوذة من الحياة اليومية، وشخصياته مستوحاة من الواقع، وحواراته هي حواراتنا في كل مكان.
الاغنية القديمة كان لها وزنها وكلامها الدافئ الذي يجعلك تتعلق بها لأنها تحكي قصة واقع عشناه. كانت الالحان جميلة بتوزيع راق ينقلك الى عالم حالم. وكانت هناك ايضا لجنة في الاذاعة اللبنانية تقيّم الاغنية، من كلمات ولحن واداء، قبل السماح ببثها على الهواء.
اليوم ما من رقابة لأن الفنان والشاعر يسمحان بالكلام المبتذل الذي يهين المجتمع ويدمر القيم، فيما اللحن الركيك هو المسيطر ويا للاسف. اما شكله الذي يطل فيه على الجمهور فحدث ولا حرج. المظهر اولا: "بوتوكس"، "عضلات مفتولة"... ولا يهم ايا تكن الكلمات ومهما كانت الالحان.
قديما، كان صوت الفنان ولونه الغنائي الذي يعتمده في بداية مشواره هما المقياس الوحيد الذي يحدد هل سيكون نجم هذا الفنان ساطعا في سماء الفن ام انه سيخبو قبل ان يرى الناس شيئا من بريقه. وكان الجمهور اصيلا يتذوق الكلمات المعبرة والالحان المميزة.
اليوم يتربع دخلاء الساحة الفنية العربية على الشاشات، من دون ان تكون لديهم ادنى المقومات من صوت وموهبة، بل يملكون ثروة تخولهم شراء اغلفة المجلات واثير الاذاعات وفضاء الشاشات. النجومية اصبحت صناعة، حيث لم تعد اليوم القدرات الذاتية وحدها الفاعلة في جعل النجم نجما.
كنا نرى ان وطننا ومستقبلنا يجب ان يكون في عهدة الفنانين والعظماء امثال الاخوين الرحباني، وسواهما من كبارنا الذين جعلونا نعيش لبنان "الحلم" وليس لبنان العذاب والتعب والقهر. كنا نتذوق النعمة التي تبقينا في امان ولو للحظات.

ميرنا الشدياق

◄□ لكل حدث ظروفه. لا يمكن النسيان اننا خرجنا من حرب مدمرة اثرت في الاوضاع النفسية لدى الناس، لكن من طبيعة اللبناني نفض الغبار والنهوض من جديد. وهذه من ميزات اللبناني الذي يحب العيش، ما لا نراه كثيرا لدى شعوب اخرى. كما لا يجب ان ننسى مدى تأثير المادة على المهرجانات التي عانت منها في الفترة الاخيرة.

■ هل لديك عتب على المهرجانات في لبنان؟
□ من الممكن ان يكون الوضع العام في البلد قد اجبر القيمين على المهرجانات على التماشي مع الذوق العام لاستقطاب نوع من الجماهير. لا يجب ان ننسى بأن هناك من هاجر، وان الطبقة الوسطى اندثرت. نحن بحكم عملنا في المسرح نراقب نوع الناس ولونهم ومن اي مناطق يأتون، فاكتشفنا مدى الهوة الكبيرة بين الناس الذين كانوا يأتون في العام 1998 في "آخر ايام سقراط" واليوم. لقد اختلفت الامور في عصرنا هذا. لا يجب ان ننسى من اتوا من الخارج الى لبنان من نازحين ولاجئين من اخواننا العرب، من العراق ومن سوريا، مما يؤدي الى التنوع ويصيب نوعا معينا في الفن دون غيره، وهذا نوع من الغنى. انا ارى ان ألق المهرجانات في البقاء على روعتها، هو في الاستمرار في المستوى نفسه من دون الانجرار الى ما نراه اليوم. فلا يمكن تقديم عمل ما في مهرجان يمكن ان نراه هو نفسه في ملهى ليلي مثلا. لذلك اذا اردت المشاركة في مهرجانات بعلبك، يأخذني فكري الى امور عدة وليس فقط وضع اوركسترا والغناء، فالكل قام بذلك سابقا.

■ هناك جيل جديد في لبنان لا يشبه الاجيال التي سبقته، الى اي مدى من المهم ان يتعرف هذا الجيل على منصور الرحباني وعلى فلسفة الاخوين الرحباني؟
□ لقد ذهب هذا الجيل الى مكان آخر وهذا من مسؤولية الاهل، اذ ان سيطرة مواقع التواصل الاجتماعي حاليا على العالم دفعتهم الى الذهاب الى مكان مختلف تماما كنوع الموسيقى مثلا. المشكلة تمكن في ان الناس لا تريد ان تسمع شيئا جديدا او تتعلم، بل تريد ان تشاهد فنانا يغني، والغناء والرقص على الكرسي في الوقت نفسه. هذا الامر يمكن القيام به في اي ملهى ليلي، وليس في مهرجان يتميز بالرقي حيث تستمع الى الصوت والموسيقى والشعر والاغاني الجديدة. الامر نفسه في الاذاعات التي اصبحت حكرا على مَن يحتلها بالدفع لتمويل اغنية او دعمها. على المدارس التنبه الى مثل هذه الامور، وعلى وزارات الثقافة والتربية والاعلام الاهتمام ايضا، وكذلك شاشات التلفزة والاعلاميين. يجب الاضاءة على هذه الامور والنهوض بالوطن والاعلام وبالجيل الجديد والاهتمام به.

■ من الممكن ان نلاحظ بعض الاحداث السياسية التي يمر بها الوطن في المسرحيات التي كتبها الاخوان الرحباني كصيف 840 وسقراط، فإلى اي مدى استطاعا قراءة المستقبل وقراءة التركيبة اللبنانية؟
□ لقد تربى الاخوان الرحباني في هذه المنطقة وفي هذه البيئة والمناخ وهذا المحيط، وعاشا كل التحديات التي واجهتهما. لقد خرجا من هذه البيئة التي فيها الفقر والوجع. كل ذلك ترسخ في لا وعيهما مما جعلهما يكتبان بهذه الطريقة. شاهدا الطبيعة وراقبا كل شيء في الفصول. العذاب الذي عاشاه ترجماه كتابة، لانهما قرآ جيدا الماضي وعرفا المستقبل ولأنهما كانا يستشفان بشكل مختلف، وهنا تكمن عبقريتهما ان في سقراط او صيف 840 او ملوك الطوائف او مسرحية حكم الرعيان التي من المستحيل ان يصيب بها احد الى هذه الدرجة. لا شك في ان منصور كان قارئا للتاريخ والفلسفة، ويعرف تماما الخلفية والبعد اللبناني بحذافيره. كذلك البعد في المنطقة وكيف كانت الممالك مركبة فيها، وبالتالي اذا استطاع احد ترجمتها يستطيع عندها قراءة المستقبل.

■ على سبيل المثال، عندما سقط النظام في سوريا وما حصل في السجون فيها يخطر على

بالنا مثلا ديك الملي في ناطورة المفاتيح. كيف كانا يريان ماذا سيحصل بهذه الانظمة وما يمكن ان ترتكبه؟
□ عندما لا تعير الانظمة في العالم اهتماما الا بنفسها وكيف تحمي ذاتها، من دون الاهتمام بحماية شعوبها وتأمين السعادة لهم، يصبح لدى هؤلاء انتماء الى ارضهم. صحيح ان لدى الناس انتماء في الزوايا واختلافا في الآراء، وهذا هو جمال الامور، وما احبه في لبنان. لكن الانتماء الاساسي يجب ان يكون للوطن، لا لأي زعيم ولا لرئيس ولا لأي نظام. فالنظام يدير المؤسسات ويرسم سياسة معينة لكي يعيش الانسان بسعادة على هذه الارض التي خلق فيها، وليس لكي يحمي حاله من الدولة التي عليها ان تؤمن له كل الامور. فكان من الواضح ان تحصل هذه الامور في اي نظام بسبب الاستبداد الفظيع للانسان. كما انه ليس هناك من اشخاص رؤيويين يفكرون ابعد من الطوائف واللون. يجب التفكير برؤية للنهوض ببلد ما، اذ ان عظمة اي بلد تأتي من الافكار والاعمال العظيمة، ومن خلال الكتب ورجال الفكر الذين يرسمون افكارا يتبناها الشعب ويضعونه على السكة. الاعمال العظيمة هي التي تضع اي بلد على الخارطة وليس بالتنظير على الآخر او في غلبة حزب على آخر. ما يهم هو تحسين عيش الانسان على الأرض، وهنا اقول ان قصة منصور وعاصي كانت دوما الانسان.

> **لم تكن خواتيم المسرحيات سعادة بل مأساة**
>
> **غنى الاخوان الرحباني الواقع كما هو وكان معهما كل الحق**

■ منصور كان يقول "حكينا ع وطن جايي ووعدنا الناس"، متى يمكن ان نرى هذا الوطن؟
□ كانا فيه وعاشا فيه، عندما تحدث عنه منصور وعاصي وفيروز في بعلبك، كان لبنان اخضر ونحن الذين دمرناه. من منزلنا هذا ومن على هذه الشرفة شاهدنا بداية الحرب اللبنانية، من هنا الى عين الرمانة. كنا نسمع اصوات الرصاص في عين الرمانة لأنه لم يكن امامنا سوى بساتين ومنازل من طابقين. نحن الذين بشّعنا بلدنا ولم تكن لدينا رؤية حوله، فلماذا العتب على منصور او عاصي.

■ تم تحميلهما مسؤولية تأثيرهما على جيل معين ليعيش لبنان الحلم؟
□ كانا هما الصح والحق معهما، ولم تكن خواتيم المسرحيات سعادة بل مأساة، ففي مسرحية "ايام فخرالدين" مثلا يموت هو والاب.

■ لكن كنا نصل الى هذه المأساة ونحن نشعر بنوع من الفرح؟
□ كانا يوصلان المشاهد الى المأساة وهو يضحك من خلال الاغنية والموسيقى، لكن خلفها هناك الشوك والوجع والدموع. في "جبال الصوان" تموت هي ووالدها وجدها، في "فخر الدين" هو الذي يموت بعد خيانة اقرب الناس. وفي "لولو" تتهم ظلما وتسجن 15 سنة، وتخرج لترى ان المجتمع كله كذب عليها ولا يزال يكذب عليها. المشكلة في لبنان هو الفصل بين الاغنية التي تضم الجمال وهي تحكي عن الوطن، فيما تكون قد اخذت من سياق درامي مأساوي في ختامه. لقد غنى الاخوان الرحباني الواقع، تحدثا في اغنياتهم عن الكندرجي، العمال، عمال المرافئ، عن المهربين الذين لا يمكن الا ان تؤيدهم. عندما تسمع في "يعيش يعيش" ملهب يقول انه عندما نذهب للسرقة ونقوم بالتهريب، هناك من يدعي لنا العودة بخير لأننا نريد ان نعيش، وعند تقصير الدولة تجاهنا ولا تهتم بشعبها، نحن من سنهتم بأنفسنا وهذا ينطبق على لبنان. شرح الاخوان الرحباني عن امور عدة، تحدثا عن الشحاذ والحرامي والمهرب والعمال والكندرجي وعن كل انسان. كانا اكثر الناس صدقا، وهذه هي قوتهما بالسيطرة عليك لذلك تزعل منهما. هناك من احبهما كثيرا ومنهم من زعل وعاتب، وهنا تكمن قوتهما. هما الصح ونحن الغلط.

م. ش